

## نعش عرفات بين نظام القاهرة وعفوية رام الله

الأحد 14 نوفمبر 2004 GMT 8:15:00

مردخاي كيدار

يوم الجمعة 12 نوفمبر شاهد حدثا بالغ الأهمية كرسست له وسائل الإعلام العربية والعالمية ساعات طويلة ألا وهو جنازة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. كما غطت وسائل الاعلام الاسرائيلية هذا الحدث إما بالنقل المباشر لوقائع الجنازة او بالتعليق والنقاش بين الخبراء عن الشخص وماضيه ومستقبل العلاقات بيننا وبين جيراننا الفلسطينيين في ظل غياب قائدهم المحبوب.

ولكن عندما احاول فهم وقائع الجنازة عليّ - كإسرائيلي وصهيوني - ان اشارك القراء العرب في أفكارى عما شاهدناه جميعا. من ناحية المظهر انقسمت الجنازة الى جزأين: جزء أول في القاهرة اتسم بالهدوء والبرودة والنظام والتخطيط، لم يشترك فيه الا ناس بالزى العسكري ومسؤولون ورؤساء وملوك وأمراء يرتدي كل منهم بدلة ثلاثة اجزاء وكرفاتة ونظارة الشمس ولا صوت يسمع سوى المتكلم أو الموسيقى ولا شيء يتحرك دون أمر.

أما الجزء الثاني في رام الله فكان يتسم بالعفوية والفوضى وإطلاق النار في الهواء وعجز رجال السلطة في فرض النظام على الجمهور الغفير الذي تدفق الى المقاطعة منذ ساعات الصباح وانتظر هبوط رئيسه تحت أشعة الشمس وهو صائم. وبلغت حالة الفوضى واكتظاظ الناس درجة ان طائرتي الهليكوبتر المصريتين التي نقلت نعش عرفات والوفد المرافق له لم تتمكن لمدة عشرين دقيقة حتى من فتح الأبواب وانزالها للأرض لتتكمّن الشخصيات من النزول منها ومن انزال النعش. وبعد ان يئس المسؤولون من الذهاب بالنعش الى القبر تم نقل النعش على سقف سيارة خاصة مع بعض المسلحين وهي تشق طريقها بصعوبة في البحر الانسانى الهائج وانتهى الأمر بالشيوخ التيمي الذي كاد الناس يدفعون به الى داخل القبر وهو يحاول قراءة الفاتحة على روح الرئيس الفقيد.

كنت اشاهد هذا المشهد بجزأيه - الأول في القاهرة والثاني في رام الله - محاولا المقارنة بينهما وفيما يلي ملاحظاتي:

1. ما شاهدناه في القاهرة كان من صنع الأنظمة، المبنية على فرض النظام - نظام الحكم والنظام العام - على الشعوب بينما كان المشهد في رام الله من صنع شعب لا يعلم ما هو نظام وخاصة ما هو "نظام عربي".
2. مشاهد الفوضى في رام الله هي النتيجة الحتمية لحالة الفوضى التي سلّطها عرفات على الفلسطينيين بأسلوبه الفوضوي الخاص الذي انتهجه في ادارة شؤون السلطة الفلسطينية منذ تأسيسها قبل عقد من السنين.
3. لا شك عندي في ان الناس في رام الله كانوا يعبرون بدموعهم عن مشاعرهم النابعة من صميم القلب الجماعي والفردى حيال رئيسهم المحبوب خاصة وأنه لم يخلف وراءه شخصية تحظى بنفس المشاعر الشعبية الحقيقية، بينما لم أر أي دمعة أسيلت في القاهرة ولو بصورة بروتوكولية.
4. لو انتقل جميع الرؤساء والملوك والأمراء الذين كانوا في القاهرة في أن واحد الى رحمته تعالى وثرت لشعوبهم حرية الاشتراك في جنازتهم الجماعية لما وصل لتشبيعهم ربع عدد الناس الذين اكتظوا من تلقاء أنفسهم في مقاطعة رام الله لتشبيع جنازة عرفات وحده.

5. تساورني الخشية بان الرؤساء والملوك والأمراء الذين جاؤوا الى القاهرة لمرافقة عرفات في رحلته الدولية الأخيرة حضروا في حقيقة الأمر لتتأكد من وفاته النهائية لأنهم يعلمون جيدا أن عرفات كان بخلافهم قائدا وزعيما ورئيسا حقيقيا بل والدا محبوبا عند أكثرية الفلسطينيين بينما لا يعلم إلا الله وحده ما هي نسبة

التأييد الحقيقية لرؤساء ال-99% وملوك ال-100%.

6. الفلسطينيون الذين تذرف الدموع على وجوههم اليوم هم نفس الشعب الذي نفخ عرفات فيهم حلم العودة والقدس وإزالة المستوطنات وربما إزالة إسرائيل كلياً من أرض فلسطين، ودموعهم اليوم تعبر عن الخشبة من تحطم الحلم على أرض الواقع، وان الجبل الاسرائيلي لن تهزه ريح مهما قويت.

وبعد هذه الملاحظات اتساءل: هل يتمكن أي من الفلسطينيين من ان يقود شعبه قدماً الى هدف واقعي تاركين وراء ظهرهم شظايا الحلم، منفتحي الأعين أمام الواقع المحلي والأقليمي والدولي؟ هل يتمكنون جميعاً من التخلص من حالة الفوضى التي غرس عرفات في نفوس شعبه وفي دهاليز سلطته؟ هل يستطيع الشعب الفلسطيني استبدال الزي العسكري والكوفية التقليدية ببذلة مدنية وكرفاتة معاصرة دون فقدان الروح الفلسطينية؟ هل يتمكن جبراني الفلسطينيون من التحول الى جسم سياسي مخطط ومنظم ومرتب ومنضبط مثلما شاهدناه في القاهرة دون ان يفقدوا العفوية الشعبية والتفائية الصحيحة والحيوية الحقة التي ظهرت جليةً في رام الله؟

\* مردخاي كيدار - قسم الدراسات العربية، جامعة بار-ايلان، اسرائيل

[mkedar@mail.biu.ac.il](mailto:mkedar@mail.biu.ac.il)